مقتل أرمنى

قتل امرء فى « غرفة » جريمة لا تُغتفر
وقتل شعب كامل مسئلة فيها نظر

لا نتكلم هنا بصوت التعصب ، لأن المحكوم عليه مسيحى ولا بصوت الحنان على مصائب أمة بأسرها لأنه أرمنى ولا بصوت الجنسية لأنه شرقى عثمانى ، بل نحن نجهر بصوت الإنسانية لأن القتيل إنسان وبصوت العدالة لأن مقتله كان بغير عدل وبصوت الرحمة والشفقة ، لأن الرجل كان يستحق شيئاً من الرأفة والحلم ، وقد ضنوا بهما عليه وبصوت الضمير الذى يرجف حزناً وأسفاً على قتل رجل مجرم كان يستحق مشقات السجن فقط طول حياته ، ولو كانت أمرَّ من الموت وبصوت الألوف الذين سعوا فى إنقاذ حياته ، والتمسوا صدور العفو عنه ، ثم جاء الحكم عليه حكماً عليهم جميعاً وكسراً لكل تلك الخواطر الإنسانية التى كان ينبغى أن يُقابل حنانها بحنان من مثله وأن لا ترجع ظامئة بعد أن وردت منهل الرحمة والعفو والإحسان وما يوجع الحرمان من كف حارم .

كما يوجع الحرمان من كف رازق وما ننكر أن الرجل قاتل يستحق القتل ومجرم يستاهل العقاب ومنتقم يجدرُّ به الانتقام وعادٍ فى أرض العدل على رجل من بلاد

مقتل الارمني

قتل امرئ في « غرفة » جريمة لاتغتفر
وقتل شعب كامل مسئلة فيها نظر

لا نتكلم هنا بصوت التعصب لان المحكوم عليه مسيحي ولا بصوت الحنان على مصائب امة بأسرها لانه ارمني ولا بصوت الجنسية لانه شرقي عثماني بل نحن نجهر بصوت الانسانية لان القتيل انسان وبصوت العدالة لان مقتله كان بغير عدل وبصوت الرحمة والشفقة لان الرجل كان يستحق شيئاً من الرأفة والحلم وقد ضنوا بهما عليه وبصوت الضمير الذي يرجف حزناً واسفاً على قتل رجل مجرم كان يستحق مشقات السجن فقط طول حياته ولو كانت امرَّ من الموت وبصوت الالوف الذين سعوا في انقاذ حياته والتمسوا صدور العفو عنه ثم جاء

الحكم عليه حكماً عليهم جميعاً وكسراً لكل تلك الخواطر الانسانية التي كان ينبغي ان يقابل حنانها بحنان من مثله وان لاترجع ظامئة بعد ان وردت منهل الرحمة والعفو والاحسان وما يوجع الحرمان من كف حارم

كما يوجع الحرمان من كف رازق
وما ننكر ان الرجل قاتل يستحق القتل ومجرم يستاهل العقاب ومنتقم يجدر به الانتقام وعادٍ في ارض العدل على رجل من بلاد الشراسة والظلم ولكن ليس كل قاتل يقتل ولا كل دماء مسفوكة يجب ان تنطيها دماء السافك ولا كل

الشراسة والظلم ، ولكن ليس كل قاتل يُقتل ولا كل دماء مسفوكة يجب أن تغظيها دماء السافك ، ولا كل منتقم لقومه وأهله يحق أن يُعاقبه العدل بمثل انتقامه وإلا كان العدل مثله معتدياً ولحق الجرم بالخصم والحكم على السواء . نقول ذلك لأن الرجل قاتل ولكن له بعض العذر فى أمره ومعتد أثيم ولكنه يُسامح بعض السماح فى اعتدائه وأثمه ، وإذا كان فى المحاكم عذر يُقبل وفى القانون تسامح يذكر فهو إنما وضع لمثل هذه الظروف واقتضته أشباه هذه الأحوال .

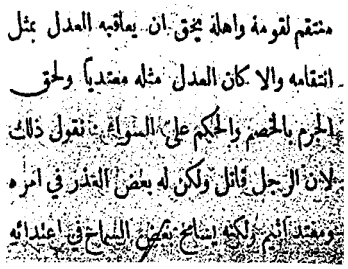

منتقم لقومه واهله يحق ان يعاقبه العدل بمثل انتقامه والا كان العدل مثله معتدياً ولحق الجرم بالخصم والحكم على السواء . نقول ذلك لان الرجل قاتل ولكن له بعض العذر في امره ومعتد اثيم ولكنه يسامح بعض السماح في اعتدائه وأثمه واذا كان في المحاكم عذر يقبل وفي القانون تسامح يذكر فهو انما وضع لمثل هذه الظروف واقتضته اشباه هذه الاحوال

وكفى أن يتصور الإنسان الشفوق أو القاضى العادل رجلاً أُصيب قومه بكل نكبة ونزلت فى أهله كل مُصيبة وذهبت دماء أقاربه هدراً مهدوراً على سيوف المظالم والاعتداء حتى رقّ لبلواهم الغريب وبكى لمصابهم حزناً وأسفاً يراع كل كاتب ومقلة كل خطيب ثم جآءهُ أحد هؤلاء الظالمين يقص عليه مقتل أمه وافتضاح أخته وهلاك قومه وذل أقاربه وإنه هو الذى قتلهم وعلى سيفه ويده سالت دماؤهم وبأعماله وأعمال إخوانه سآءت أحوالهم وتعاظمت مذلتهم وعلا بكاؤهم ونحيبهم وكثر الثكل واليتم فيهم إلا تثور فى هذا الرجل ثائرة الغضب والحقد ، وهل يُريد العدل الإنسانى أن يبقى فى قلب هذا المظلوم ذرة من الشفقة والحنو وهو يسمع هذه الأقوال من فم فاعلها ويرى ظالمه يتمدح أمامه بظلمه ويفتخر بما فعله فى أقوامه . بل لو سمع هذا الحديث المؤلم رجل غريب لا يعرف الأرمن ولا عهد له بهم ولا صلة بينه وبينهم ألا يثور ويسخط وها قد سمعنا كلنا بهذه الأحاديث الفظيعة على اختلاف مذاهبنا وأجناسنا ـ فأى قلب إنسانى فينا ، لم يتأثر

وأية نفس لم تتأوه وتتحسر ، وأى إنسان بلغته هذه الفظائع الهائلة ولم يسخط على فاعليها ، وأى قلم لم يطلب العدالة فيهم والإنتقام منهم . فإذا قام هذا الرجل وانتقم لقومه من قاتل مذنب وسفك بيده دماء غادر أثيم سفك دماء كثيرين من أهله وأقرَّ أمام الناس بسوء صنيعه ألا يكون قد وفى العدالة حقها فى عين الحقيقة وانتقم لها من قاتل كانت تنتقم هى منه لو وصلت إلى بلاده وكان لها أثر يذكر بين حكامه . وما نكتم أن مثل هذا الرجل لا حق له بالانتقام وأنه يُزاحم الحكومة والقضاء على فعلهما وحقهما فى العقاب ولكن هل يستوجب القتل إذا فعل ذلك ، وهل مثل هذه المزاحمة الباطلة على حق واجب تقضى بالإعدام السريع الذى هو آخر العقوبة وأشد القصاص .

ثم ، لو ناقشنا رجالنا الحساب ووقفنا وإياهم فى موقف القضاء والعدل ، ألا نقول لهم إن هذا الرجل كان يعذر كثيراً ويكاد يطلق سراحه فى الحال لو ثار على خصمه فقتله فى ساعة بعد ما قص له حكايته

حكاية أمه وأخته ، ويذكر ما فعله بأهله وإخوانه كما يعذر زوج المرأة إذا قتلها فى حال الجناية وساعة الخيانة . فإذا كان هذا الأرمنى جاهلاً فى أمور القضاء ولم يعرف أن يغتنم الفرصة لقتل عدوه وأخذ ثأر قومه دون أن يلحقه عقاب أو يُصيبه عقاب صغير وسول له جهله بهذه الأمور أن يقتله اغتيالاً ويجره

إلى منزله لحيلة ، أيكون من عدل القضاء أن يعاقبه هذا العقاب الشديد ، لأنه جاهل لم يعرف كيف يأتى القتل من بابه ، ولا كيف تكون نجاة القاتل فى مثل هذه الأحوال .

وأخيراً فلنفرض أن الرجل واضح الجرم ولا مناصَ للعدل من إعدامه وأنه متعمد بأشر الذنب عفواً وارتكب الجريمة إعتباطاً بلا سبب ولا داع سوى سوء الطبع وفساد الأخلاق ، وقد رأت الحكومة نهضة الألوف فى سبيل نصرائه وتجمهر كبار القوم وأعيانهم فى التماس العفو عنه ورفعهم العرائض مُذيَّلة بألوف من التواقيع فى استدرار غيث الرحمة عليه ـ لا رحمة إطلاق وغفران بل رحمة أشغال شاقة يقضى فيها حياته بين العناء والنضب الشديد ـ ألم يكن من تمام العدالة التى هى أخت الإحسان وكمال الشرع الذى هو رفيق العرف والحنان أن تجلب تلك الأصوات الداعية وتقر تلك الصدور الخافقة التى لم تطلب الرحمة للقاتل إلا بعد إجماعها على عذره ووجوب الشفقة على حياته ودمه . وهب أن ذلك لم يكن فى اعتقادها لو أنها مخطئة فيه أو لم يكن من واجب التعطف والحنو أن نجبر خواطرها الكثيرة فى رجل فرد يكسب العافى عنه من الدعاء أكثر مما يكسب هو من شقاء السجن ومرارة البقاء .

معذور فى هذا الأمر وأنه وقع بين محظورات كثيرة رأى التخلص منها بإنفاذ القتل أولى

في امور القضاء ولم يعرف ان يغتنم الفرصة لقتل عدوه واخذ ثار قومه دون ان يلحقه عقاب او يصيبه عقاب صغير وسول له جهله بهذه الامور ان يقتله اغتيالاً ويجره الى منزله بحيلة أيكون من عدل القضاء ان يعاقبه هذا العقاب الشديد لانه جاهل لم يعرف كيف يأتي القتل من بابه ولا كيف تكون نجاة القاتل في مثل هذه الاحوال

واخيراً فلنفرض ان الرجل واضح الجرم ولا مناص للعدل من اعدامه وانه متعمد بأشر الذنب عفواً وارتكب الجريمة اعتباطاً بلا سبب ولا داع سوى سوء الطبع وفساد الاخلاق وقد رأت الحكومة نهضة الالوف في سبيل نصرائه وتجمهر كبار القوم واعيانهم في التماس العفو عنه ورفعهم العرائض مذيلة بالوف من التواقيع في استدرار غيث الرحمة عليه — لا رحمة اطلاق وغفران بل رحمة اشغال شاقة يقضي فيها حياته بين العناء والنضب الشديد —

ألم يكن من تمام العدالة التي هي اخت الاحسان وكمال الشرع الذي هو رفيق العرف والحنان ان تجلب تلك الاصوات الداعية وتقر تلك الصدور الخافقة التي لم تطلب الرحمة للقاتل الا بعد اجماعها على عذره ووجوب الشفقة على حياته ودمه . وهب ان ذلك لم يكن في اعتقادها او انها مخطئة فيه أو لم يكن من واجب التعطف والحنو ان نجبر خواطرها الكثيرة في رجل فرد يكسب العافي عنه من الدعاء اكثر مما يكسب هو من شقاء السجن ومرارة البقاء .

معذور في هذا الامر وانه وقع بين محظورات كثيرة رأى التخلص

من الإقامة عليها بنعمة البقاء وهبة الحياة ، ولكن هذه الأعذار العالية لم تقبل لدى الشعب ، كما أن أعذار الأرمنى لم تقبل لدى قضاته وأصبح التأثير شديداً فى القلوب والغيظ بادياً على الألسنة والوجوه وكلهم يعجبون كيف تغتفر أوربا للدولة التركية قتل شعب بأسره ولا تغتفر مصر لرجل واحد انتقامه من قاتله وأخذه ثأره وثأر أهله وبلاده وهى التى لو كانت حاكمة فى تلك البلاد بعدلها المصرى الحاضر لما أفلت من عقابها مجرم ، ولا وقع تحت عقاب سواها برئ . تلك حقيقة تنقلها إلى مواردها عن ألسنة كثيرة وحديث دائر وننصح لأصحابها بالتخفيف من لهجتهم قليلاً ، فقد نفذ المقدور ولا رد على القادر .

منها بانفاذ القتل اولى من الاقامة عليها بنعمة البقاء وهبة الحياة ولكن هذه الاعذار العالية لم تقبل لدى الشعب كما ان اعذار الارمني لم تقبل لدى قضاته واصبح التاثير شديداً في القلوب والغيظ بادياً على الالسنة والوجوه وكلهم يعجبون كيف تغتفر اوربا للدولة التركية قتل شعب باسره ولا تغتفر مصر لرجل واحد انتقامه من قاتله واخذه ثاره وثار اهله وبلاده وهي التي لو كانت حاكمة في تلك البلاد بعدلها المصري الحاضر لما افلت من عقابها مجرم ولا وقع تحت عقاب سواها بريء . تلك حقيقة ننقلها الى مواردها عن السنة كثيرة وحديث دائر وننصح لأصحابها بالتخفيف من لهجتهم قليلاً فقد نفذ المقدور ولا رد على القادر